

(مفهوم الاستلاب الثقافي وأثره في الهوية لدى الشباب الجزائري)

-مقاربة تربوية -

أ/ سليم عطاوة - جامعة الأغواط

أ/ عامر يحيوي - جامعة المسيلة

ملخص:

إنّ التسارع التكنولوجي الذي يشهده العالم أثر على المجتمعات، بما فيها المجتمع العربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة، لتظهر مع هذا التطور التكنولوجي العولمة الثقافية كعامل من عوامل نشر الثقافة الغربية المهيمنة، مما يجعلنا نتساءل عن مكانة الهوية الثقافية للشباب الجزائري، ومدى تشبث هذه الفئة بثوابتها التربوية، كما تقودنا هذه الإشكالات إلى ظاهرة الاستلاب الثقافي الذي يعتبر المآل المحتوم لما سيكون عليه حال المجتمع الفاقد لهويته الثقافية، وفي ظل هذا الصراع بين الهوية الثقافية المحلية والعولمة الثقافية التي تحمل هوية الآخر يتطلب من المجتمع الجزائري أن يتمسك بالمرجعية التربوية، وينسج على منوالها فلسفته التربوية التي ستشكل المناعة ضد تيار العولمة الثقافية بما يحمله من نُظم تبطل الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الثقافة، الاستلاب الثقافي، الشباب، المجتمع، التربية.

Abstract

The technological acceleration, which the world is witnessing influenced on communities, including the Arab community in general and particularly the Algerian society , to show up with the technological development the cultural globalization as a factor of the deployment of the dominant Western culture , which makes us wonder about the cultural identity position of the Algerian young, and the persistence of this category

of their educational principles and these problems lead us to the phenomenon of cultural alienation, which is an inevitable fate of what it would be like if community lost his cultural identity, and in light of the conflict between the local cultural identity and cultural globalization that carries each other's identity . the Algerian society requires to hold the educational reference, and weaves in its way its educational philosophy which will be immune against the tide of cultural globalization, included which it Carries of the systems engulf the cultural identity of Algerian society.

Key words: identity, culture, cultural alienation, youth, community, education.

مقدمة

تعد الخصوصية الثقافية أهم رافد من روافد الهوية لأي مجتمع كان، وباعتبار التغيرات الحاصلة في العالم التي أصبحت ذات طابع شمولي تشهده كل المناحي السياسية والمعرفية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فإن المجتمع الجزائري ليس في منأى عن هذه التحولات لاسيما فئة الشباب التي تشكّل نسبة كبيرة من سواد المجتمع، وفي هذا السياق تطرح قضية خصوصية الثقافة في مقابل التبعية للآخر وبالتالي فقدان الهوية وتشكل إطار هويتي جديد يعمل على إعادة صياغة المفاهيم والأفكار عند الشباب الجزائري، لذلك فإن المشكلة التي تتساق في هذا المسار الجدلي هي: كيف يمكن أن يؤثر الاستلاب الثقافي في الهوية لدى الشباب الجزائري؟ ماهي تجليات مفهوم الاستلاب الثقافي في البناء الهويتي للشباب الجزائري؟ كيف يمكن للمقاربة التربوية أن تدرس الظاهرة من حيث هي ذات بعد تربوي ثقافي؟

1 - مصطلح الاستلاب الثقافي في المنظور الفكري والفلسفي:

تأسس مصطلح الاستلاب نتاجا لخطاب الواقع، وانطلاقا من فلسفة التأثير بالآخر واستفراغ الذات من محتواها بمفهومها الشمولي من مكونات هوياتية وروافد ثقافية، فمعنى استلب جاء من الجذر اللغوي

لسلب (س، ل، ب) فقد جاء في لسان العرب "سَلَبَةُ الشَّيْءِ يَسْلُبُهُ سَلْبًا وَاسْتَلَبَهُ إِثَارُهُ، والاستلاب: الاختلاس، ورجلٌ سَلِيبٌ: مُسْتَلَبُ الْعَقْلِ". (ابن منظور، دت، ص 471)

وجملة فإنّ مفهوم الاستلاب الثقافي يأخذ طابع التضاد مع الخصوصية الثقافية، ففعل الاستلاب يكون بهيمنة نموذج ثقافي مسيطر يمتلك مقومات القوة، تجاه ثقافة ينتابها الضعف ليس لأنها تخرج عن الإطار التاريخي والمرجعية التراثية، بل لأنها تتعرّض لقطيعة مع السيرة التاريخية، وهذا ما تتعرض له الثقافة العربية عامة والجزائرية خاصة بحكم انتماء الجزء إلى الكل.

ونجد التساؤلات التي طُرحت عن الثقافة من حيث المفهوم والمكونات والمشكلات كثيرة في عالم الفلسفة والفكر، وتناولها الفلاسفة والمفكرون من زوايا عديدة، كما حدث مع مالك بن نبي الذي تعرّض للثقافة ورأى أن هناك منهجا تسيير عليه عملية الاستلاب الثقافي حيث يقول: «... ولا ريب أن هناك مشاريع حقيقية لما هو ضد الثقافة، تولد تحت الأشكال والعناوين كافة لتجهض بالوسائل المصطنعة أخلاقيا وفكريا البرامج التي ينمو في إطارها هذا الرأسمال ويزداد...». (مالك بن نبي، 2000، ص 137)

وتظهر إشكالية الاستلاب الثقافي في أنماط متعدّدة تجعل من المجتمع يضطرب هوياتيا، وينشأ الخوف من فقدان الهوية خاصة عند بعض الطبقات ذات الفكر الممانع، وهذا ما عبّر عنه عبد الرزاق الداوي وهو يُشخص مسألة الخوف من الاستلاب قائلا: «إنّ الخوف من الاستلاب الثقافي الذي يمكن تشخيص أهم أعراضه في الشعور بالضياع وبالفقدان التدريجي للهوية الثقافية، وفي التبعية لثقافة الآخر المهيمنة، إنّ ذلك الخوف يكاد يكون عامّا وطبيعيا عند سائر الأفراد والجماعات البشرية، وفي هذا السياق بمقدورنا أن نلاحظ على سبيل المثال، أنّ الحماسة التي تبديها المجتمعات المُنتمية إلى الثقافة العربية الإسلامية أحيانا لخوض معركة التحديث والتنمية والإصلاح والسعي إلى توطين الفكر الديمقراطي في الثقافة وفي المؤسسات، غالبا ما يقترن عندها بتولّد مشاعر الخوف من ضياع الهوية، كثرن يتوجّب بذله في مقابل هذا التحديث ذاته». (عبد الرزاق الداوي، 2013، ص 156)

ومن خلال رؤية عبد الرزاق الداوي للاستلاب الثقافي الذي يظهر في شكل أعراض عند المجتمعات العربية الاسلامية نجد أنه يربط الخوف بعملية التحديث والدمقرطة التي تمس البناء الفكري سواء على الصعيد الثقافي أو الصعيد السياسي، لكن هذا يقود إلى إشكالات على مستوى النموذج المستورد فهل كل قادم من الغرب يصب في نموذج الاستلاب الثقافي؟

2- الهوية بين الثوابت التربوية وتحولات العولمة:

إنّ الهوية في مفهومها العام هي الخصوصية من حيث تعلقها بذات الإنسان أو الجماعة وهذا يقودنا إلى " علاقة التطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال، فهي تتعلق بكون شخص ما أو كون جماعة ما قادرا أو قادرة على الاستمرار في تكون ذاتها، وليس شخصا أو شيئا آخر وقد يمكن اعتبار الهوية خيالا، يراد منه أن يضفي نموذجا أو سردا منتظما على التعقيد الفعلي والطبيعة الفياضة لكل من العالمين النفسي والاجتماعي، ويتركز سؤال الهوية على تأكيد مبادئ الوحدة في مقابل التعدد والكثرة والاستمرار في مقابل التغيّر والتحول". (طوني بنيت وآخرون، 2010، ص701)

ولعل مفهوم الهوية يبسط نسيجه الاصطلاحي على مساحة تتشكل من هويات، أبرزها الهوية الثقافية التي تشير " إلى الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات الاجتماعية وكل القدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في جماعة". (فاروق عبد فلية وأحمد عبد الفتاح الزكي، دت، ص250)

هذه العناصر التي تتسق مُكوّنة الهوية الثقافية تعد بصمة تجعل من الفرد أو المجتمع يتميز عن الآخر، فجزئية الثقافة تحقق معنى الانتماء إذا كانت إفرزا لديناميكية المجتمع المتعددة، لذا فإن في تحليلها توصف بأنها " وسيلة ضرورية لاكتساب صفة الانتماء الفعلي إلى كيان اجتماعي محدّد ومتميز، ومؤسسة رمزية للحفاظ على تراث هذا المجتمع وتقاليده ونقله إلى الاجيال الجديدة، وهذه الدلالة الحديثة نسبيا تسمح بالنظر إلى الثقافة على أنها واحد من العناصر والمكونات المهمة لتحديد

هوية الشخص الاجتماعية ذلك لكونها كيفية خاصة لرؤية الوجود والحياة وأسلوبا في العيش والسلوك والإحساس والإدراك والتعبير والإبداع". (عبد الرزاق الداوي، 2013، ص31) ومن الملاحظ أن "حقل الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية والثقافية يحيل مفهوم (الهوية الثقافية) إلى مجموع المقومات والعناصر الثقافية، التي تسمح بالتعرف عن الانتماء الثقافي لشخص ما أو لمجموعة بشرية معينة، كما يمكن أن يحيل عموما إلى الوعي الضمني بالانتماء إلى جماعة بشرية تعيش في فضاء جغرافي محدّد ولها تراث ثقافي متميز، يشمل تاريخا مشتركا ولغة، وعادات وتقاليدا، وتطلعات مستقبلية". (عبد الرزاق الداوي، 2013، ص154)

لكن في عصرنا هذا فرضت ثقافة معينة تحاول أن تتصدر الثقافات، وتعمل على الإحلال محلها، وهذا ناتج عن تراكمات تاريخية وسياقات اقتصادية واجتماعية، أدت في مجموعها إلى تنامي القوى الغربية وتساعدتها، ليظهر مصطلح العولمة (GLOBALIZATION) الذي تجاذبته حقول معرفية عديدة موجهة إياه على حسب مقتضيات التخصص، مع أنه حافظ على أصالته من حيث أنه ولد في بيئة اقتصادية فكان مصطلحا اقتصاديا المنشأ، لتتلقفه بعدها باقي التخصصات ويشيع بينها، " ففي أواسط السبعينات أشار الناقد الأمريكي فريديريك جيمسون إلى الرأسمالية بوصفها أول ثقافة عالمية حقيقية لم تتخل يوما عن مسعاها إلى امتصاص كل غريب عنها، وما يزال هذا المفهوم متسيّدا دلالات العولمة، وإن نافس الاقتصاد في هذا مجال آخر هو الاتصالات التي أسهمت بقدر وافر في عولمة بقاع الأرض". (ميجان الرويلي وفؤاد البازعي، 2002، ص 193) ومن هنا يظهر أن العولمة انبثقت مصطلحا اقتصاديا ممتدة بعده إلى ميدان الاتصال ومن ثمّ الثقافة كمنتج عولمي وأداة له، إذن "هذان الجانبان من العولمة؛ الاقتصادي والاتصالي تركا أثرا بليغا على الثقافات الإنسانية في عصرنا الحالي، فتأثير العولمة يمتد إلى اللغات وما تحمله من فكر وعلوم وآداب مثلما يمتد إلى الأشكال الملموسة من الثقافة كالملبس والمأكّل وأنظمة الحياة العامة من قوانين وعمارة وعادات وما إليها". (ميجان الرويلي وفؤاد البازعي، 2002، ص 194)

وإذا ما أردنا أن نتكلم عن العولمة والعولمة الثقافية خاصة فإننا نقاد إلى تلك الهيمنة التاريخية لسلطة الغرب وفلسفته تجاه الآخر بما فيها الشرق، ولو رجعنا قليلا إلى الوراء لوجدنا أنساقا ثقافية تشكلت ضمن المنظومة الغربية قُبيل وأثناء وبعد المرحلة الكولونيالية لتوجّه بعناية نحو المتلقي العربي، وفي هذا السياق نجد أداة كالاستشراق استخدمت بمنهجية من لدن الغرب في بلورت مفهوم الغرب للشرق بكل مكوناته، مما جعل الغرب يأخذ المركزية، وهذا ما أشار إليه الجابري بقوله: « هذه المركزية الأوروبية التي كرّستها الفلسفات التي ذكرنا من خلال بناء " التاريخ " البشري ومحورته على أوربا سيكرسها الاستشراق تكريسا بالتحرك على الوجه الآخر من العملة، إذ سيُشيد لأوربا ثقافة كاملة عن " الشرق " تجعله " الآخر " بالنسبة إليها، لا الآخر اللد بل الآخر الأدنى الجامد المنحط المتخلف ». (محمد عابد الجابري، 2012، ص126)

وهذه المركزية ولدت عند الغرب العالي، مما جعل الغربي يعتبر أن ثقافته تمثل النموذج الأرقى وتستحق أن تسحق الثقافات الأخرى فهي تتبع من مصدر يمتلك القوة، وبالتالي فإن العولمة الثقافية تخلّقت في أحضان هذا الحقل المنتج للمفاهيم السلطوية، فالعولمة الثقافية باعتبارها الثقافة الغربية الظافرة بمختلف مكوناتها وروافدها وخاصة الرافد الأمريكي منها، وهي تسعى إلى فرض اختياراتها ومرجعياتها القيمية على سائر الثقافات الإنسانية الأخرى، بل وتساهم في تفكيكها وإعادة تشكيلها على نحو هجين". (عبد الرزاق الداوي، 2013، ص167)

ومن خلال هذا التنويه المفاهيمي للهوية ومركبها الثقافي نرى بأن بعدا آخر يظهر مع هذا التساوق المعرفي، والذي يتمثل في الطرح التربوي باعتباره سبب ونتيجة، وكون مفهوم التربية يمثل في أدبيات علم التربية التنمية والتطوير للإنسان بشكل عام، وتاهيل فرد متوازن وفاعل اجتماعيا، فإن الفلسفة التربوية تبنى من مبادئ ومقومات المجتمع فهي تهدف إلى استشراف المستقبل، والعمل على بناء نسق تربوي متكامل يمد أبناء المجتمع بالقيم والمبادئ، من أجل مواجهة التحديات والرهانات المحلية والعالمية، لذلك فإنّ " التربية المتطلعة نحو المستقبل تخلق الشروط التي يمكن للإنسان بواسطتها أن يجعل وجوده هو المصدر والمادة الأولية لماهيته، وهذه التربية تؤكد الحقيقة الراهنة

ليست هي الحقيقة الوحيدة كما أنها ليست المعيار الوحيد للتربية، فالمعيار الحقيقي هو مستقبل الحقيقة". (طلعت عبد الحميد وآخرون، دت، ص17) وهذا يجعل من التربية عملية معقدة يجب ان تراعى فيها المتغيرات، وإلا كانت هناك نتائج عكسية تظهر على المدى القريب والمدى البعيد.

وتظهر في خضم هذا التصاعد الحضاري وبروز الحضارة الغربية قضية الهوية الثقافية ذات أبعاد خطيرة على الفرد والمجتمع، لذا تطرح جدلية الثوابت والمتغيرات، ومن هنا تُطرح العديد من الإشكالات حول الهوية والهوية الثقافية خاصة في زمن الابتلاع العولمي لكل خصوصية والاملاءات الخارجية فكرية واقتصادية ..، فهل تُصنّف الهوية الثقافية ضمن الثوابت؟

وممن رأى أنّ الهوية الثقافية من الثوابت محمد عمارة حيث يقول: «... ولما كان في كل شيء من الأشياء الثوابت والمتغيرات، فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدّد ولا تتغير، تتجلى وتقص عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة». (محمد عمارة، 1999، ص6) فالهوية الثقافية للإنسان هي مفهوم نظري ينعكس على الممارسة الحياتية، كما أنه لا يأخذ بعد المغايرة، فإذا ما انخرط في هذا المفهوم أفضى إلى الانسلاخ، وانتقل إلى حقل الاستلاب، وفي المقابل نجد "مفهوم العولمة الثقافية يختلف تماما عن المفهوم النظري (المثالي)؛ فهي في واقع الحال ليست سوى تكريس لنوع معين من الاستهلاك، ولنوع معين من المعارف والسلع والبضائع، وهذه المعارف يمكن أن تشكل في مجموعها ما يمكن أن نطلق عليه (ثقافة الاختراق) والهدف منها التطبيع مع الهيمنة، وتكريس الاستتباع الحضاري، وتسطيح الوعي، واختراق الهوية الثقافية للأفراد والجماعات والأمم". (ينظر خليل مسيهر العاني، 2009، ص125) ويبدو أن العولمة الثقافية تؤسس فلسفتها على الهيمنة وبسط النفوذ، لذا فإن الهوية الثقافية تتبنى في فلسفتها على المقاومة من أجل الحفاظ على طابع الخصوصية، وهذا ينتج في كثير من الأحيان تصادم، "فالتمسك بالهوية والوطن والأمة والخصوصية الثقافية والدينية يقابل العولمة ويقاومها، وهناك التحدي الثقافي الحضاري لما قد تفرضه العولمة من أنماط وسلوكيات وثقافة غربية عن تلك المألوفة مما ينذر

بصراع الثقافات والحضارات وعودة الاستعمار في شكل جديد في ظل انعدام تكافؤ القوى". (عبد الله قلي، 2011، ص19)

ومن هذا التصور لمفاهيم الهوية الثقافية والتربية والعولمة يتأسس البناء المتداخل الذي يشكل هذه المكونات، تتضافر فيما بينها لتكون في المحصلة ناتج التفاعل الهوياتي والتربوي والعولمي، محددة بذلك معالم شخصية الفرد ومآل المجتمع نفسه.

3- أبعاد الاستلاب الثقافي وانعكاساتها على الهوية الثقافية لدى الشباب:

تتداخل مجموعة من العوامل مكونة ظاهرة، تؤثر على الهوية الثقافية لفئة الشباب التي لها خصوصيتها السيكولوجية والسوسيولوجية داخل النسيج الاجتماعي، كما أنها تكون الفئة الأكثر استهدافاً، عن طريق العولمة الثقافية وأدواتها الممنهجة، وعن هذه العولمة يحاول جيرار ليكلر تقديم تفسيرات لآلية انتشارها، حيث يقول متسائلاً: « هل تفترض العالمية الثقافية مشروعية الرموز والعادات الغربية الكونية، أو هل تعتبر محصلة عرضية أو مؤقتة لسيطرتها؟ تقوم العولمة في إحدى أهم رهاناتها على انتشار استهلاك الخيرات الثقافية ذات الأصل الغربي، كما أن الخيرات الاقتصادية ذات المركب التقني تدور في أرجاء العالم وهي بغالبيتها نتيجة سيورة تقنية وعلمية أساسها الغرب أولاً، فذلك نجد أن الخيرات الثقافية التي عرفت أعلى معدلات انتشارها في أرجاء الكرة الأرضية قد نبعت من الصناعة الثقافية الغربية، أو لنقل بل الصناعة الأمريكية بالذات: أفلام هوليوود، الإنترنت، المسلسلات الأمريكية، العلوم الاجتماعية الأورو - أمريكية... ». (جيرار ليكلر، 2004، ص 488)

في هذا النص يظهر وجه العولمة المؤمر الذي صار يكتسح الثقافات وينذر بابتلاعها، إذ أصبح " وقع إغراءاتها ومؤثراتها قويا على الفئات الاجتماعية إلى حدّ أنّ قسما منها هام بالتخليق خارج فضاء القيم والتقاليد، وانجذب نحو المثير والشاذ في الحياة الغربية المعاصرة، وتُباهي بمحاكاة النموذج الثقافي الغربي المعولم، سواء تعلّق الامر بأساليب السلوك والتفكير أو بعبادات الملبس والاستهلاك". (عبد الرزاق الداوي، 2013، ص117) ومعلوم أنّ الراهن بكل تقاطعاته يشهد حالة من

التغيرات الهائلة والمتسارعة، لا يكاد إنسان القرن الواحد والعشرين أن يستوعبها، لشدة تواترها وكثرتها، وفي كل هذا المشهد نجد العالم الثالث يلعب دور المتلقي والمستهلك لكل ما هو غربي، وبالتالي فإن عملية التأثير أصبحت واقعا لا مناص منه، فالذي كان قبلا لا يصل إلا عن طريق وسائل محدودة وبعد فترة زمنية أصبح متاحا الوصول إليه في بضع ثوان، والذي ساعد على ذلك كثرة وسائل الاتصال وسهولة وصول المنتجات الثقافية عبر الانترنت وشبكات التلفاز وغيرها من الوسائط، وتوزع دور النشر الغربية في مختلف مناطق العالم، وانتشار السينما التي تلعب هنا دورا حاسما في نقل المطبوع إلى قطاع عريض من المتلقين". (ميجان الزويلي وفؤاد البازعي، 2002، ص194)

وهذا التساوق الرهيب للعولمة الثقافية يطرح جدليات حتى على ساحة الغرب نفسه من خلال الصراع بين الثقافة الأوروبية والثقافة الأمريكية، لأجل فرض كل منهما ثقافته على العالم، ومع تزايد تصاعد الترسانة الامريكية بما تمتلكه من تكنولوجيا متقدمة أصبحت أوروبا تتخوف من تعرضها للأمركة، وبالتالي تميم هويتها الثقافية، هذا على مستوى الغرب فما هو مصيرنا نحن يتساءل عبد الرزاق الداوي وهو يتعرض لهذه المسألة من حيث رؤيته لكيفية انتشار العولمة الثقافية الذي يتحدد: «إما عن طريق التدخل العنيف في ثقافة وشؤون الآخرين وإما عن طريق الثقافة المفروضة، والإيحاء والتأثير المباشر، الذي تحدثه الامكانيات الهائلة التي تتوافر عليها في مجالات تكنولوجيا المعلومات والإعلام والاتصال الحديثة، إذا كان الامر على هذا الحال في دول غربية متقدمة وعريقة الثقافة لها امكاناتها المرموقة في العالم المعاصر فكيف لا نكون نحن أولى منها بالقلق على ثقافتنا». (عبد الرزاق الداوي، 2013، ص157)

وإذا ما أردنا الانفتاح على الثقافات الأخرى دون أن نمتلك خصوصية ثقافية وتهئية فكرية، تستند إلى وعي حقيقي فردي واجتماعي، فإنّ النتائج ستكون عكسية يقول حسن شحاتة: «... إنه بدون هوية ممثلة بمقوماتها يكون الانفتاح على الثقافات الخاصة المهيمنة منها مدعاة للانزلاق نحو الوقوع فريسة الاستلاب والاحتراق». (حسن شحاتة، 2008، ص68) فعملية الاستلاب الثقافي هي

عملية تقضي على الهوية الثقافية، وتؤدي بالشباب إلى صراعات نفسية يعيشونها بين أحقية الخصوصية الثقافية التي تولد في كنف المجتمع الأصلي والتشبع بنموذج ثقافة مستعارة، ومن هذا المنطلق فإنّ "الهوية تعاني من حالة استلاب حقيقي وذلك عندما تتعرض إلى تأثير نظام من العمليات الخارجية التي تعمل على إحداث تغيرات عميقة في جوهرها، ويترتب عند حدوث الاستلاب ولادة الإحساس به، ويعني ذلك شعور الفرد بالتغيرات الحاصلة وإحساسه بوضعية استلابه سواء على مستوى الفرد والجماعة والثقافة". (أليكس ميكشيليلي، 1993، ص147) هذا الشرح الهوياتي يفرز لنا حالة من التشوه الفكري على مستوى الفرد والمجتمع المستلب، "فعملية الاستلاب تجري وفقا لمبدأ غسل الدماغ (la vage de cervau) ولمبدأ التطبيع القسري كما يتم ذلك عبر تحديدات قسرية لهوية سلبية عبر عملية هدم بنية الشخص". (أليكس ميكشيليلي، 1993، ص147)

ولذلك فإن ظاهرة الاستلاب ظاهرة لها أثارها السلبية والخطيرة على القيم والعلاقات الاجتماعية، مما يجعل الأمن الاجتماعي محل استهداف، ويفقد البناء القيمي تماسكه ويؤدي به إلى الانهيار مع التقادم، لهذا يرى العلماء أن الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية أصبح التحدي المطروح علينا بشدة في عصر السماوات المفتوحة التي تكتظ بالأقمار الصناعية التي تحمل مئات القنوات التلفزيونية من كل انحاء العالم بما تتطوي عليه من تأثيرات مختلفة تشكل الكر والوجدان للشباب على حد السواء، فالإحساس بالخطر يستلزم البحث عن الهوية والانتماء حتى لا نتعرض للصراع، وتُرجع معظم الكتابات والأبحاث المشكلات التي يعاني منها الشباب اليوم إلى اضطراب النسق القيمي لديه، حيث يحدث الصراع". (وارم العيد، 2014، ص14)

ولعل نظرة مالك بن نبي إلى الثقافة والاستلاب الثقافي يجعلنا نستشف مدى أهمية التشبث بالهوية الثقافية، في مقابل إدراك خطورة الاستلاب الثقافي والنتية في ثقافة الآخر، ومن خلال الرؤية البُنبوية للثقافة نجده يصدر عن مزاجية بين هذا المكون والفلسفة الاخلاقية، حيث يقول: « ... فأساس كل ثقافة هو بالضرورة تركيب وتأليف لعالم الأشخاص، وهو تأليف يحدث طبقا لمنهج تربوي يأخذ صورة فلسفية أخلاقية، إذن فالأخلاق أو الفلسفة الاخلاقية هي أولى المقومات في الخطة

التربوية لأية ثقافة». (مالك بن نبي، 2000، ص 63) وحينما يتكلم مالك بن نبي عن الثقافة فإنه يشدد على تنمية هذا المكون، واعتباره مقوما تربويا لابد من مراعاته في بناء فلسفة تربوية، في حين يرى أن "مشكلة الثقافة من الوجهة التربوية هي في جوهرها مشكلة توجيه الأفكار"، (مالك بن نبي، 2000، ص 67) وفي تحليله لقضية الثقافة يطرح الكيفية التي نستطيع بها مواجهة المد الثقافي الغيري، والحيلولة دون الوقوع في دائرة الاستلاب الثقافي وذلك مالمّخصه في قوله: «إنّ من اولويات واجبا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي، ولذلك يجب أن نحدّدها عاملا تاريخيا لكي نفهمها، ثمّ نظاما تربويا تطبيقيا لنشرها بين طبقات المجتمع». (مالك بن نبي، 2000، ص 76)

وعلى هذا الأساس يتم خلق نسق ثقافي تربوي يكون مشاعا بين طبقات المجتمع، فالأزمة الثقافية تنمو وتنمو معها نتائجها، من الحد الذي يمكن تداركه بالتعديل البسيط إلى الحد الذي يصبح فيه التعديل مستحيلا، أو لا يمكن إلا بثورة ثقافية عارمة تكون في الحقيقة بمثابة انطلاقة جديدة للحياة الاجتماعية من نقطة الصفر" (مالك بن نبي، 2000، ص 91).

خاتمة:

إنّ عملية الاستلاب هي عملية لها تبعاتها وأبعادها على المجتمع عموما وفئة الشباب خصوصا، لذا فإنّ من شأن العملية التربوية أن تمارس دورها في خلق الممانعة للمجتمع بفئاته، وتكوين هوية ثقافية ذات بناء متشعب بالقيم والأخلاق المستمدة من فلسفة المجتمع التربوية والتي تمّدها الروافد الدينية والفكرية والتاريخية بخصوصية الشخصية العربية الإسلامية.

المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، م 1، دار صادر، بيروت، لبنان، دت.
- 2- أليكس ميكشيليلي، الهوية، تر علي وطفة، دار الوسيم، ط 1، سوريا، 1993.

- 3- جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية الحضارات على المحك، تر جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، لبنان، 2004.
- 4- حسن شحاتة، الذات والآخر في الشرق والغرب - صور ودلالات وإشكاليات-، دار العالم العربي، ط1، مصر، 2008.
- 5- خليل مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، العراق، 2009.
- 6- طلعت عبد الحميد وعصام الدين هلال ومحسن خضر، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، مصر، دت.
- 7- طوني بنيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة - معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع-، تر سعيد الغانمي، مركز دراسة الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2010.
- 8- عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات - حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة-، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، لبنان، 2013.
- 9- عبد الله قلي، غايات التربية في ضوء العولمة، مجلة التربية والابستمولوجيا، ع1، الجزائر، 2011.
- 10- فاروق عبد فلية وأحمد عبد الفتاح الزكي، معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا، دار الوفاء، مصر، دت.
- 11- مالك بن نبي، مشكلات الثقافة، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط4، سوريا، 2000.
- 12- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العربية والإسلام ... والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، لبنان، 2012.

13- محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر، ط1، مصر، 1999م.

14- ميجان الرويلي وفؤاد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، لبنان، 2002.

15- ورم العيد، البعد الثقافي للعولمة وأثره على الهوية الثقافية للشباب العربي- الشباب الجامعي الجزائري نموذجا-، مجلة جيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعرييج، الجزائر، جوان 2014.